(Sarasin) في جنيفا فكانت نتيجة اختباراتهما انَّ طول التموُّج يبلغ ستَّة امتار. وكان العلماء حسبوا سابقًا انَّ النور يقطع في الثانية ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر او ٣,٠٠٠,٠٠٠ متر. فلمَّا عرضوا الكهرباء المشعَّة على قياس اهتزازات النور وجدوا ان الكهرباء تجري في ذلك جري النور وانَّ اهتزازات امواجها ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ في الثانية وهذا هو الواقع في النور باختلاف قليل فاستنتجوا انَّ عاملهما واحد

فهذا الاكتشاف المهمّ الذي أدَّى بالعلماء الى ان يوحّدوا بين الكهرباء والنور ممَّا يؤيد مذهب مكسويل بخصوص الاثير وتعليلهِ لكلّ هذه العوامل الطبيعيَّة. واليوم تراهم يبحثون عن آلة تنشىء في الثانية ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ من الاهتزازات تمكنهم من الانارة الاصطناعيَّة. وقد وضع واحدٌ منهم اسمهُ بوز (Bose) آلةً تُصدر في الثانية ٥٠,٠٠٠,٠٠٠هزَّة. واذا مكَّنتهم المساعي من ايجاد مثل هذه الآلة استعاضوا طرائق الانارة الجارية اليوم بطرائق أُخرى غاية في السذاجة والاقتصاد فينظمون هذه الاهتزازات كما يشاؤون وينشئون تارةً نورًا بلا حرارة وتارةً حرارة بلا نور واخرى حرارة بلا عوامل كيمويَّة الى غير ذلك من النتائج الغريبة التي تجعل النور طوع يد الانسان يتصرَّف فيهِ على مقتضى ارادتهِ وكفاك رجل واحد لينير مدينةً كاملة بنور ساطع

فهذا بعض ما ينتج عن مذهب مكسويل بخصوص وحدة الاثير والنور والحرارة والكهرباء. واذا ما تحقَّقت آمال العلماء وخرجت الى حيّز العمل سوف يرى الناس من عجائب الاختراعات ما ينسيهم الاكتشافات الغريبة التي افتخر بها القرن السابق ويشعرهم بقدرة الخالق وحكمتهِ وهو الذي اودع عالمنا مثل هذه القوى الدفينة وارشد العقول الى الوقوف عليها بتوالي الاعصار. سبحانهُ لا اله غيرهُ

يَمِينُ العَلِيّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل السادس

جُبَيْل

كان الليل مادًّا رواقهُ المدلهمّ. الَّا انَّهُ ليل البلاد الشاميَّة تشعُّ فيهِ الكواكب

بأنوارها الساطعة وتنبعث فيه الحدائق المجاورة للساحل من الروائح العطرة. بينما ترى القمر في كبد السماء يخفف باشعته الفضية اكفهرار الليل ويجلل بضيائه قمم لبنان ومنعطفه الى سبح البحار اللازوردية

ففي تلك الليلة كان قومٌ سائرين في الطريق الرومانية البيضاء التي تسير من بيروت الى طرابلس لا يُظلُّها شيء من الاشجار سوى بعض شجر الزيتون العاتية او مخافر جندٍ تُرى حيناً بعد حين على مقربة من الطريق لحراستها. اما القوم فكانوا يحملون على مناكبهم محفَّة يتقدَّمها اربعة من العبيد في ايديهم مشاعل لانارة الطريق

وكان الحمَلة يمشون بخفَّة كانَّ محفَّتهم لا تثقل على اكتافهم وكانَّهم لم يحملوا الَّا وَقْرًا خفيفاً لا يبهظ عليهم حملهُ. ولو عاينتَهم في سيرهم لرأيتهم يرفعون على الراحات حملهم إشعاراً بخفَّته. وكان احدهم يوقع باغنيَّة يتغنَّى بها على خطواتِ رصفائه ليمشوا مشياً منتظماً. اذ اشار اليه رفقاؤهُ قائلين:

صَهْ فانَّ معلّمتنا ترقد وحقّ رأسها انها غاية في الحاجة الى النوم بعد ما المَّ بها من الأحزان

فسكت العبد. ولم يعد يُسمع في جوف الليل سوى صوت اقدام الماشين مع نُباح الكلاب التي كانت تعوي لضوء القمر في القرى الواقعة على لحف لبنان

وبينا هم في سيرهم اذ خرج من وراء اسجاف المحفَّة انين ينبئ بقلب اقرحهُ الحزن. وكان الانين متصاعداً من صدر يهودية ابنة صموئيل اذ هي كانت المحمولة في المحفَّة. ثم سمعها الحمَلة تقول في اثناء كابوس دهمها في نومها:

« لا لا ناشدتُك الله... أُقسم لك باني لم افعل... عليَّ... دَعني يا جلّاد.. »

قالت هذا ثمَّ سكتت واخذت تُعول عويلًا مرًّا في اثنائهِ كان يُسمع لها بعض الفاظ متقطّعة: « يا راسيوس... ابتاهُ... مسكين ابي وايّ مسكين »

قال سلوانس العبد الامين الذي وثقت بهِ وائتمنتهُ على حياتها وكان واقفاً على يمين المحفَّة: « انها تفكر في ابيها ». ثم رفع الستار الذي كان يحجبها ومسَّ يدها فنزعت من النوم مذعورةً ورفعت برأسها قائلة: « اين نحن ». ثم نظرت واحسَّت بظلمة الليل وشعرت بندى البحر فعرفت حالها واخذت منديلها لتنشف دموعها ثم اردفت: آه نحن في الطريق... اني كنتُ نسيتُ في نومي كلَّ ما عرض لي. آه

كم تألمتُ . . . ولكن قُل يا سلوانس الى اين وصلنـا ؟

— ثقي يا سيدتي انّا قد بلغنا نهر ليكوس (نهر الكلب)

قال هـذا وامر العبيد بان يكفُّوا برهة عن المسير. فاخرجت يهوديت رأسها لترى المكان فاذا هو مضيقٌ مرهبٌ تقر تكتنفهُ الجبال يُسمع في وسطهِ خرير المياه الجارية. فارتعدت فرائصها وتخوَّفت ان يكون المكان مأوى للُصوص. ثمَّ سألت وهي لا تعي لنفسها خوفًا:

كم هي الساعة . . . ايلوح الصباح قريبًا ؟

— قد اخذت ديكة القرى تصيح فلا يمرّ علينا ساعتان او ثلاث ساعات حتى نرى الفجر متنفسًا

ثم عاد العبيد فساروا بخطوات مسرعة دون خوفٍ ان يُفيقوا سيّدتهم من رقادها. امَّا يهوديت فازالت من امام وجهها سجوف المحفَّة لتستنشق نسيم البحر الذي كان ينعش صدرها و يخمد هيجان اعصابها. وكان الالم قد اضنى قواها وهدَّ حيلها. فاخذت تفكّر في ما اصابها في يومها السابق من الاكدار التي رنّقت كأس فرحها وقطعت حبل سعادتها. وهذه الاحزان كانت استولت على قلبها بغتةً دون انتظار. امَّا سببها فحديثٌ جرى لها مع اخيها يوسف بدَّل افراحها بالاتراح وجعلها اشقى الناس بعد ان كانت تؤمل بالمسرّات القريبة

*

كانت اصيل يوم امس جالسةً في غرفتها مستندةً الى مرفقةٍ وبازائها اخوها يوسف يسعى بتسليتها عن غيبة ابيها وتأخرهِ عن الرجوع. ويذكّرها بانَّهُ ارسل ساعياً يأتيها بالاخبار الصادقة ثمَّ يؤكّد لها انَّ حصار مدينة اورشليم لم يبتدئ بعد فابوها صموئيل يمكنهُ الفرار قبل ان تُقفَل ابواب المدينة المقدَّسة

الَّا انَّها هي لم تزل مضطربةً الى ان قالت لاخيها دون تروٍّ: انّي خائفة على حياة ابي واعرف انَّ الرومان اذا قصدوا شيئًا لا ينكصون على الاعقاب ولا بُدَّ لهم ان يفتحوا عاصمة مملكة اليهود بوقتٍ قريب فاذا كان ابي لم يفرّ بعد فالويل لهُ . . .

قالت هذا بتوجُّع جاش بهِ صدر اخيها وفار فائرهُ لانهُ تذكَّر التفات الضابط راسيوس الى اختهِ عند مرورهِ على باب الدار فقال مغضبًا: « الرومان ! اصدقاؤكِ

الرومان ! اراكِ تتيمّنين بقدومهم وتتفاءلين بنصرتهم . او تظنين اني لم أدرك بعواطفك او لم اشعر باضطراب جسمكِ قبل يومين لمّا مرّ الضابط راسيوس بازاء عينكِ . . . اني لواقف على خفايا قلبكِ ولن تخدعيني البتّة . فكل مظاهرات الخوف على حياة والدنا وبكاءكِ عليهِ لكذبٌ وغشّ فانّ كلّ شواعر قلبكِ متّجهة الى هذا الضابط الروماني اللعين . . . فماذا يهمُّكِ امر المدينة المقدّسة او ان يُقتل والدنا وتفنى أمّتنا فانّ غاية ما تشتهين ان تحظي باحد انذال الرومان . . . فاعلمي أنّكِ استخرجتِ اضغان صدري لكنّ احتقاري لكِ اعظم من بُغضي . . . ولا بُدّ لي ان أدرك بثاري منكِ يوماً وأنتصر لشعبنا عليكِ . . . »

قال هذا ثم اقسم يميناً محرّجةً ان : « لا ابرح الآن جوارَكِ وابقى هنا لأترصّد هذا الروماني الذي مال اليهِ قلبكِ فاذا ما عاد سالماً غمستُ هذا الخنجر في قلبهِ . . . فتتمّ بموتهِ افراحكِ ويشفى غليل محبّتكِ للرومان »

ما كاد يوسف ينتهي من هذا القول حتى خرج من الدار وترك اختهُ في الحيرة والذعر . وكانت اذ سمعت بكلام اخيها رأت نفسها في حلم فلم تَدرِ ما تجيب لما سلقها بهِ من الكلام المرّ . فلمّا خرج أجهشت بالبكاء وتدفّقت عبراتها كالسيول . . . « كيف يا تُرى تجاسر اخوها بان يشكّ في حبها لوالدهما . . . امّا هو أفكان لهُ ان يجرح قلبها بكلام احدّ من النصال فيتهدّدها ويتهدّد من كانت عوّلت عليهِ لسعادة حياتها . . . كلاّ لا تريد مطلقاً ان تجتمع باخيها ثانيةً . . . وان كان يوسف يبقى في الدار الوالديّة فانّها هي لا تُقيم فيهِ ابد الابد . . . بل تهرب في الليلة ذاتها . . . »

فكّرت في هذا ثم دعت بدروتيا . فدخلت أمتُها مسرعةً واخذها الاندهاش لمّا رأت سيّدتها كادت تغيب عن رشدها . فاخبرَتها يهوديت بما جرى لها واراحت نفسها بما كشفتهُ لها من اسرار قلبها لانّها كانت أمةً امينةً تثق بها في كلّ امورها وتعتبرها كأنّها مذ فقدت والدتها وكثيرًا ما كانت تستهدي برأيها وتذعن لمشورتها لاسيّما مدّة سفر ابيها وغيبة يوسف شقيقها

فعزّتها دوروتيا واثبتتها على عزمها فقالت لها : « هيّا اسرعي يا عزيزتي ولا تبقي في دارٍ اضحت لكِ شرًّا من المنفى . والراي عندي ان تذهبي الى جبيل وفيها بيت ظئركِ العجوز فانّها تُسرّ بنظركِ وتضيفكِ عندها على الرحب والسعة . امّا اخوك

فانهُ يخفى عليهِ مسيرُك واذا ما أيس بعد مدّةٍ من لقياك لا بُدَّ لهُ ان يرحل من بيروت فابلّغكِ الخبر فتعودين الى دارك بعد رحلتهِ »

ومن ثمَّ قامت يهوديت في اوّل هجعة من الليل وركبت محفّتها دون ان تودّع اخاها الذي كان خرج الى شوارع المدينة ولعلَّهُ ذهب الى المرسح العموميّ ليحضر العـابًا كانت تقوم بها جوقة مصريَّة قدمت بلاد الشام لترتزق بالرقص والغناء وفنون الخلاعة

لكنَّ يهوديت قبل خروجها كتبت ليوسف هـذه السطور الوجيزة وسلّمتها لاحد عبيد الدار: « لا تفتش عنّي لاني لست اريد ان انظر وجهك وقد كفرتُ باخائك لما في قلبك من الاحتقار والبغض للّتي كانت شقيقتك »

وكانت يهوديت نسيت كل ما جرى لها بعد كتابتها هذه الرسالة. وغاية ما كانت تتذكر انَّها حلمت وبكت في حلمها البكاء الغزير. ثم ارادت ان تعلم ايكون اخوها تقصّى آثارها ليدركها فامرت حَمَلة المحفّة ان يتوقّفوا عن سيرهم حينًا وتوجّست ركزًا من سنابك خيلٍ فلم تسمع شيئًا. فاستدلّت بذلك انَّ اخاها لم يشعر بعدُ بهربها. فاوعزت الى خدَمها بمواصلة السير

*

ليس منظر يشبهُ بمحاسنهِ منظر الساحل الشامي الذي يمتـدُّ من نهر الكلب الى جُبيل. فانَّ السائر يجري على مقربة من بحر شديد الزرقة تنكسر سورة مياههِ الزاخرة على سِيفهِ مصاحِفـةً لرملهِ الناعم تارةً وحينًا لحصاه الصقيلة. وربَّما انتصبت في وجهها الصخور فتساورها الامواج كأنَّها تريد كسر شوكتها. وعلى يمين السابلة رُبًى وآكام تستند اليها جبال عالية كأنَّهـا اسوار لحصن منيع لا يقوى على انتهاك حرمتهِ بشر. وعلى منعطف هذه التلال من المناظر البهجة ما تقرُّ لهُ العين لاسيَّما في اوائل الربيع وممَّا كان يدهش الناظر سابقًا الغابات الكثيفة التي كانت تزين لبنان وتبسط عليـهِ ظلالها الوارفة لا يُسمَع فيهـا غير تغريد الطيور مع صوت فؤوس العملة الفينيقيين الذين كانوا يقطعون من اشجارها ما يرونهُ صالحًا لملاحتهم وتجارتهم البحريَّة

وكان سلوانس وقومهُ يقطعون تلك الانحاء بنشاط وهم يجدون في بهجة الطبيعة ومحاسنها ما ينعش قواهم ويبهج قلوبهم. وكان الليل في تلك الاثناء زحف بخيلهِ ورجلهِ وانشقَّ عمود الصباح. وما بلغوا نهر ادونيس (ابراهيم) حتى بزغت الشمس وارسلت

في وجه يهوديت اشعّتها الاولى فاستبشرت الفتاة بمنظرها وانجلى شيء من كربها فنزلت من محفّتها عند الجسر الممتدّ فوق مياه النهر لتنال نصيباً من الراحة

ولم تكن يهوديت الى ذاك الحين متّعت بصرها بمحاسن لبنان ولم تعرف منهُ الّا ما كان مجاورًا لارباض بيروت. فلمّا استنشقت روائح زهورهِ العطرة ورأت ما فيهِ من ضروب المحاسن بسم ثغرها وشعرت براحة لم تعهدها الى ذاك الوقت

واخذت تتجوّل على ضفّة النهر وتنظر الى مصبّهِ في البحر. وكانت تتعجّب من حمرة مياههِ القانئة فسألت سلوانس عن سبب اصطباغ الميـاه بهذا اللون. فاجابها سلوانس:

« ليس لي علم بحقيقة الامر الّا ان الاهلين يزعمون انّ المياه محمرّة بدم ادونيس. وادونيس هذا إله الجُبَليين يُروى عنهُ انهُ خرج يومًا للصيد ومعهُ كلابهُ السلوقيّة فتوغّل في الجبل المشرف على بلاد جُبيل. ولمّا كان في احدى الغابات واذا بخنزير برّي اثارهُ بهِ المرّيخ فهجم عليهِ وضربهُ بنابهِ والقاهُ على الحضيض صريعًا وتركهُ جسمًا هامدًا. وكانت الزُّهَرة تعشق ادونيس فلم تزل ترثيهِ حتى انّ الآلهة كانوا في كل سنة يُحيونهُ مدّةً لمرضاتها. فاذا ما عاد موسم وفاتهِ في الربيع احمرّت مياه نهر ابراهيم حزنًا عليهِ »

وكانت يهوديت تسمع لهذه الخرافة مطرقةً واجمة وقلبها متأثر بما اصاب ادونيس من نكبات الدهر. وكانّها فكرت في حالها وقابلت بين لوعات الزُّهَرة وآلام قلبها لكنّها بعد برهةٍ نفضت عنها غبار هذه التصوُّرات التي اختلقها الوثنيُّون وتنافي معتقد اليهود

وكان وصول يهوديت الى جبيل رأد الضحى. فلمّا شاهدتهـا ظئرها « لانيش » طار قلبها فرحًا. فاخذت تقبّلها بكل حنان وانعطاف وهي تذرف الدموع شكرًا لله على سلامتها. وكانت تذكر الزمن القديم اذ كانت تحملها على ذراعيها وتقوم لديهـا مقام امّها. فها هي اليوم قد صارت في مقتبل العمر تامّة الشباب كالبانة المائسة قدًّا وحسنًا. ثم جعلت تعتذر الى سيّدتها اذ لم تجد في بيتها شيئًا من اثاث دور الاغنياء. وما بيتها بالنسبة الى قصر يهوديت الّا حِفش او كوخ حقير

اما ابنة صموئيل فكان تسلّى همّها وانكشف كربها مذ وطئت دار ظئرها ثم اخذت تطيّب قلب لانيش وتؤكد لها انّها ترضى بمعاشها وتقنع بالقليل قائلةً: لا

يكون لي يا عزيزتي ادنى همّ فاني اقتسم واياكِ اشغال البيت فارعى معكِ الخراف في الغابات المجاورة. او أُصلح ما تهيّأ لابنكِ من الصّيد ولعلّني اركب قارب زوجك لارافقهُ الى القرى القريبة

الحقُّ يقال انَّ بيت لائيش مع صغرهِ كان في احسن موقع على ربوة منفردة تشبه خميلةً وكان وجهه يطلّ على البحر فيُرى منـهُ مرفأ البلدة حيث تتزاحمُ السُّفن الفينيقيَّة وتنساب القوارب الصغرى وكان في جملتها زورق يوليوس النوتي زوج لائيش. وكانت بازاء الدار حديقة جميلة فيها الزهور العطرة مع احرار البقول. وعلى جوانبها سقيفة تعرّش فوقها جفنة الكرم فتلطف بفيئها حرارة الصيف. وفوق السقيفة برج للحمام كانت ترفرف حول الدار ثم تحوّم وتحط في ساحتها لتلتقط ما يلقى لها من الحبوب

وبينما كانت يهوديت تزور الدار وتُسرّ برؤيتها اسرعت لائيش وعبدة لها صغيرة تهيئان غرفةً ليهوديت وتفرشان الدار لاستقبالها ثم اعدّتا لها ديوانًا ووسائد وكلّ الاثاث اللازم لمثلها على قدر ما تسمح لهما الحال

وكان سلوانس قبل ان يخرج الى المدينـة ليأجر منزلًا يسكنهُ لهُ وللعبيد انفرد بلائيش واعلمها بسبب هذه الزيارة غير المنتظرة. فاظهرت العجوز خوفهـا ثمّ اجالت نظرها حول الدار فرأت زورق زوجها فقالت: لا بأس عليها واذا اقتضى الامر اركبناها السفينة لتفرّ من جبيل الى قبرس او الى جزيرة ارواد. امّا انت يا سلوانس فكن على حذر حتى اذا عرفت بخطر يتهدّدنا انذرتنا بهِ لنفكّر بالوسائل لنجاتها (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Le Caucase, la Perse et la Turquie d'Asie
par le Baron Ernouf, 2de *édit.* *Paris*, *Plon*, pp. 367

جبل القاف والعجم وتركية آسيَّة

Les vrais Arabes et leur pays
par Denis de Rivoyre, *idem.* pp. 321

العرب وبلادهم

قد اهدت الينا مكتبة بلون الشهيرة هذين الكتابين ومدارهما على وصف البلاد التي